

تقديم القصص التاريخية في القرآن

المؤلفة: صفية بنت عبد الرزاق

مقدمة :

الكلام عن التاريخ في الإسلام يدفعنا إلى أن ننظر إلى محتويات القرآن الكريم بعين العلم واليقين . وللمسلمين خزانة كبيرة في علم التاريخ تدل على نمو وتطور العلوم والحضارة عندهم منذ الأزمنة الماضية حتى يومنا هذا .

وإن القرآن يعتبر العامل الأول في تحريض المؤرخين المسلمين على كتابة التاريخ وتوسيعه لأن فيه قصصا تاريخية من قصص الأنبياء والمرسلين والأمم السابقة . لأجل ذلك أود في هذه الفرصة أن أكتب هذا الموضوع تلبية لما يقال أن الإسلام يهتم اهتماما عظيما بالعلم والبحث العلمي وبرهانا على عظمة القرآن الكريم في كل شيء وإرشادا لكل مسلم ومسلمة والذي يرغب في معرفة التمييز بين الحق والباطل وكذلك لغير المسلمين .

تعريف القرآن الكريم :

القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى المنزل من عنده تبارك وتعالى إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام المتعبد بتلاوته والمعجزة ألفاظه^١.

وكان القرآن هو المصدر الوحيد الرئيسي لشريعة الإسلام الفريدة لينقذ الناس من الضلالة والظلمات إلى النور والهدى ، قال تعالى :

" ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين " ^٢

لا شك إن القرآن الكريم مايزال في ضمن حفظ الله جل جلاله منذ نزوله حتى يوم القيامة كما قال تعالى :

"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " ^٣

١ - مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، الطبعة العاشرة ، ١٩٩٧م ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ، ص. ١٦

٢ - سورة البقرة . آية ٢

وهذه الآية تشير إلينا بأن القرآن الكريم هو المصدر الحق وكانت المعلومات والعناصر فيه صحيحة. لذلك يجب على كل مسلم ومسلمة أن يؤمن إيماناً صادقاً بصدق القرآن الكريم وجميع الكتب السماوية السابقة لأن الإيمان بها أحداً من أركان الإيمان الستة. وكان الإيمان به أساس العقيدة الذي سيدفع الإنسان إلى التصديق بكل ما أخبره به وتنفيذ كل ما أرشده إليه من أمر ونهي.

وكان الإنسان مخلوقاً ضعيفاً، لذلك لم يستطع الإنسان أن يغلب على إعجاز القرآن الكريم الموحى من عند الله تعالى. قال عز وجل :

" وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين "

وهذه الآيات تدل دلالة واضحة على صدق القرآن وأنه من الله عز وجل. ونزلت هذه الآيات تهديداً على المشركين بمكة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. سأل الله منهم أن يصنعوا مثلاً ولم يستطيعوا أن يأتوا بها ولو كلمة^٥.

تعريف التاريخ :

وأن كلمة التاريخ تأتي من الكلمة العربية بمعنى تعيين الوقت ويقصد بالتاريخ هو كل الحوادث السالفة من قصص البلدان والأمم السابقة^٦. ويقسم تاريخ العالم إلى ثلاثة أقسام تبعاً لما مر في أوروبا وهي التاريخ القديم والتاريخ الوسيط والتاريخ الحديث^٧. واستخدمت كلمة التاريخ رسمياً في الإسلام في عهد الخليفة الثاني سيدنا عمر بن الخطاب. وقد أمر عمر المسلمين في عهده أن يحددوا التاريخ للرسائل الرسمية وغيرها. ومن ذلك الحين كانت كلمة التاريخ مستخدمة ابتداءً من حادثة هجرة النبي صلى الله عليه وسلم

٣ سورة الحجر. آية ٩

٤ سورة البقرة. آية ٢٣

٥ مناع القطان، المرجع السابق، ص. ٢٥١

٦ Mahyuddin Haji Yahya, Ensiklopedia Sejarah Islam, Jilid V, 1986. Selangor : Penerbit Universiti Kebangsaan Malaysia. Hlm. 1527.

٧ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٩٩١م، بيروت : المكتب الإسلامي. ص. ٥

حتى اليوم . وهذه الخطة ليميز بين التاريخ الإسلامي من التاريخ اليوناني التي ملأت
بأساطير الأولين ^٨.

كانت للتاريخ فوائد ومنافع كثيرة للناس . وما أحسن قول المورخ المشهور
عبد الرحمن ابن خلدون في مقدمة كتابه :

"... علم التاريخ فن عزيز المذهب ، جمّ الفوائد شريف الغاية إذ هو يوفقنا
على أحوال الماضيين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم
وسياستهم حتى تتم فائدة الإقتداء ذلك لمن يرومه من أحوال الدين والدنيا فهو يحتاج
إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت يفيضان بصاحبها إلى الجو
وينكبان عن المدلات والمغالط..." ^٩

هذا الكلام يشيرنا على أهمية التاريخ وعناصره لحياة الناس جميعا ولكنه يعتمد
اعتمادا على صدق عناصره . وإذا فاحصنا إلى الكتب التاريخية الموجودة اليوم كان
معظمها بعيدا عن الحق الا عددا قليلا لاسيما الكتب التي كتبها المستشرقون وتلاميذهم
الذين يتأثرون بروحهم ويتبنون دعاواهم وما أصدق قول محمد قطب :

"... وإذا نظرنا إلى معظم المراجع الحديثة المتأثرة بالمنهج الإستشراقي
نجدها مكتوبة في صورة جذابة مغرية بالقراءة مبوبة مفهرسة مثبتة فيها مراجعها ولكن
عييها من الناحية المنهجية أن أغلبها بعيد من الأمانة العلمية الواجبة ملون تلويها خاصا
لتحقيق هدف معين تكنه صدور لا تحب الخير لهذا الدين..." ^{١٠}

وبهذا الرأي نفهم بأن المعلومات التاريخية تحتاج إلى التحليل قبل أن نقبلها . وهذه
الحقيقة تختلف بالقرآن لأن الروايات أو المعلومات فيه ما تزال محفوظة من الانحرافات أو
العيوب في كل ناحية . وهذا الأمر يعترفها معظم المؤرخين المسلمين والغربيين . لماذا ؟
ذلك لأن القرآن ليس من صنع الإنسان ولا كتابته ولكن يأتي مباشرة من عند الله الحكيم
العليم .

8 . Mahyuddin haji Yahya , op.cit ., hlm 1527

٩ عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة تاريخ ابن خلدون ، ١٩٩٦ م بيروت : دار الكتب العلمية ، ص. ٩
١٠ محمد قطب ، كيف نكتب التاريخ الإسلامي ، ١٩٩٢ م ، القاهرة : دار الشروق ، م ، ص. ١٢-١٣

القصص التاريخية في القرآن الكريم :

وكانت القصة أمرا ضروريا لحياة الناس والقصص أشياء مشيقة لديهم كبارهم أو صغارهم وتعتبر وسيلة وأداة مؤثرة في التعليم والتربية . ويتوسلها المربون والمعلمون كمدخل لتحقيق الغرض المنشود كما يتوسلها الوعاظ ورجال الإرشاد للدعوة إلى الإيمان بالله الواحد الأحد وللتغريب والترهيب .

وكان القرآن يهتم إهتماما كبيرا على القصص التاريخية وقد انتهج القرآن الكريم أسلوب القصة سردا وحوارا ومثلا في مواطن عدة كآية من آيات الإعجاز. بخلاف كتابة التاريخ عند المؤرخين الذين يكتبون التاريخ نظرا إلى مصادره العقلية وميولهم، كان القرآن ينظر إلى الحوادث التي حدثت طوال الزمن نظرة إختيارية و قد قدم الحوادث فيه لأهداف وغايات عالية وهي عبر وعظات ودروس وتذكرة للناس .

قال الله تعالى:

"وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين" ^{١١}

وقال أيضا :

" نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين " ^{١٢}

وقال تعالى في آية أخرى :

" لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون " ^{١٣}

١١ سورة هود ، الآية ١٣٠
١٢ سورة يوسف ، الآية ٢
١٣ سورة يوسف الآية ١٠١

وهذه الآيات الثلاثة تشير إلى إهتمام القرآن بالعناصر التاريخية وغاياتها الأسمى وهي هدى ورحمة وتذكرة وأسوة حسنة للناس لكي يصلوا إلى سعادة الدنيا والآخرة.

القصص في القرآن أساس التربية ، لا التربية النفسية فقط بل العقلية أيضا . وكان عقل الإنسان يجب أن يحرر من قيود الوراثة المخرفة ، وأن يكون قادرا على الحركة. وما أحسن كلام الأستاذ محمد الغزالي عند بيان أكمل تصور التعامل مع القرآن

"... أن من كتبوا في قصص القرآن، غلب عليهم إبراز الجانب الفني ، ،أخذوا بالناحية البلاغية حتى كادت تكون هي الهدف في أعمالهم ، مع أنها الوسيلة وأداة التوصيل ، القلب الفني الذي يغرى الإنسان بالإقبال على القرآن وفهم أبعاد الآيات ، لذلك فقد تكون المشكلة أو الإصابة في التعامل مع القرن هي في : انقلاب الوسائل إلى غايات ... لقد غابت الأهداف والمقاصد وتركز الاشتغال بالوسائل ، والأشكال ، وغاب من القصص الشهود الحضارى التاريخى الذى لا بد من استصحابه للعبرة وتحقيق الشهود الحضارى للأمة المسلمة ... " ١٤

هذا الكلام يشيرنا إلى أهمية التعامل مع القرآن بطريقه ومنهجه الحقيقي لضمان نجاح الأمة في كل نواحي الحياة. وأن التعامل بالقرآن لدى المسلمين اليوم كان في المستوى الضعيف يحتاج إلى الوعى والإصلاح من قبلهم في كل وقت.

وأن في القرآن ألف قصة تاريخية تقريبا ١٥ ومنها :-

١٤ محمد الغزالي ، كيف نتعامل مع القرآن ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢م ، الولايات المتحدة الأمريكية : المعهد العالمى للفكر الإسلامى ،

ص. ٦١

15. Mahyuddin Haji Yahya, op.cit., hlm 1529.

أولا - قصة نبي زكريا عليه السلام . قال الله تعالى :

" كهيعص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا . إذ نادى ربه نداء خفيا . قال رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيئا ولم أكن بدعائك رب شقيا . وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا . يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا . يزكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا .^{١٦}

هذه الآية تتكلم عن قصة نبي زكريا عليه السلام وما كان من أمره حين وهبه الله ولدا من الكبر . وكانت امرأته عاقرا في حال شببتها . وهو صابرا ودعا الى الله بدون اليأس من رحمته . هذه القصة أسوة حسنة للأمة حتى لا يئس أحد من فضل الله ورحمته .^{١٧}

ثانيا - قصة يوسف عليه السلام . قال جل جلاله :

" وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون^{١٨}

هذه القصة تدور حول قصة النبي يوسف عليه السلام وله وجه كالبدن أعجبه الناس يسر الناظرين حتى تحبه امرأة العزيز حبا شديدا . ولم تستطع أن تخفى شغفها به وراودته ولكن يوسف صابر على هذا البلاء يدل على قوة إيمانه و صيانة حرمانه ولو في وقت الشباب . وينبغي للفتيات والشبان الموءمين اليوم أن يأخذوا هذه القصة العجيبة أسوة حسنة لحياتهم لاسيما أثناء التحديات المعاصرة فكرة وأخلاقا .^{١٩}

ثالثا - قصة فرعون . قال تعالى :

" إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين^{٢٠} ."

١٦ سورة مريم . آية ١-٧

١٧ أبو الفداء الحافظ ابن كثير ، قصص الأنبياء من القرآن والأثر ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م ، بيروت : دار الفكر . ص ٤٠٤

١٨ سورة يوسف ، الآية ٢٣-٢٤

١٩ الدكتور عبد الصبور شاهين ، قصة الدين والنبوّة في مصر قبل الإسلام ، الزهراء للإعلام القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦ م ، ص ٨٣

٢٠ سورة البقرة . آية ٤

وهذه الآية تقص عن قصة فرعون وهو ملك في عهد موسى عليه السلام واشتهر بالظلم والطغيان والاستبداد طوال ملكه . وهو نموذج متصاعد للحاكم الظالم في التاريخ البشرى في صراعه مع الحق الذى تمثله النبوة وبلغ من طغيانه مالا يمكن أن يبلغه أى حاكم فى أى عصر بالنظر إلى ممارسته فى إطار الشعب ، من تقتيل الأبناء واستحياء النساء بل لقد وصل الأمر به إلى مرحلة ادعاء الألوهية ، وتوظيف الناس لأهوائه والاستخفاف بهم . وهذه القصة لها عبرة مهمة للأمة خصوصا للحكام حتى لا يكون السقوط الحضارى فى مناخ الاستبداد على المستوى الفردى والجماعى .^{٢١}

رابعا- قصة ذى القرنين.

قال تعالى (ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا . إننا كنا له فى الأرض وآتيناه من كل شئ سببا . فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا . قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا . واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وستقول له من امرنا يسرا...)^{٢٢}

هذه القصة تتحدث عن قصة ذى القرنين . وهو من عباد الله الصالحين وقد أعطاه الله ملكا عظيما فى الأرض وامتاز بالعدل والشكر إلى الله على نعمه له والرحمة للناس حوله . وجمع بين الملك و التقوى إلى الله . ولا شك إن هذه القصة فيها موعظة لكل ملك يريد أن يحصل مرضات الله .^{٢٣}

والقصص المذكورة من أمثال القصص الكثيرة الموجودة فى القرآن . وقد اخترت تلك القصص كنماذج للقراء وفيها كثير من القصص الأخرى مثل قصة نوح وقومه^{٢٤} ، وقصة عيسى عليه السلام وأمه^{٢٥} وقصة إبراهيم عليه السلام^{٢٦} وقصة أصحاب الأخدود^{٢٧} وغيرها .

٢١ محمد الفزلى ، المرجع السابق ، ص. ١٧٣

٢٢ سورة الكهف . لية

٢٣ السید نعمة الله الجزائى ، النور المبین فی قصص الأنبياء والمرسلین ، بدون التاريخ ، بيروت : دار الأنس . ص . ١٤٠

٢٤ سورة نوح .

٢٥ سورة مريم .

٢٦ سورة مريم .

٢٧ سورة البروج .

ولا شك أن سر عظمة هذه الأمة وقوتها جاءت من هذا الكتاب العظيم . ولقد كانت عناية سلف هذه الأمة بالقرآن عظيمة أحلوا حلاله وحرّموا حرامه ووقفوا عند أمره ونهيّه و تأدّبوا بآدابه وتخلّقوا بأخلاقه ويهتموا بمطالبه أحكاما وعقيدة وقصصا . ومن هنا فعليّنا أن نسلّك مسلّك سلفنا في التعامل بالقرآن وأن نأخذ أنفسنا بالتدرّج ودوام الصلة بكتاب الله . والله أعلم .

المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم
- ٢-دكتور أبو زيد شلبى ، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامى ، الطبعة السابعة ، ١٩٩٦م ، القاهرة : مكتبه وهبة .
- ٣ - محمد قطب ، كيف نكتب التاريخ الإسلامى ، بدون التاريخ ، بيروت : دار الشروق ،
- ٤- عبد الرحمن ابن خلدون ، مقدمة تاريخ ابن خلدون ، ١٩٩٦م ، بيروت : دار الكتب العمية .
- ٥- محمد قطب ، دراسات قرآنية ، ١٩٩٥م ، القاهرة : دار الشروق .
- ٦- أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ، قصص الأنبياء من القرآن والأثر ، ١٩٩٦ ، بيروت : دار الفكر.
- ٧ - السيد نعمة الله الجزائري ، النور المبين في قصص الأنبياء والمرسلين ، بدون التاريخ . بيروت : دار الأندلس
- ٨ - محمد الغزالي ، كيف نتعامل مع القرآن ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢ . المعهد العالمى للفكر الإسلامى : الولايات المتحدة الأمريكية .
- ٩- مناع القطان ، مباحث في علوم القرآن ، الطبعة العاشرة ، ١٩٩٧م ، القاهرة : مكتبة وهبة

١٠- الدكتور عبد الصبور شاهين ، قصة الدين والنبوة في مصر قبل الإسلام ، الطبعة

الأولى ، ١٩٩٦م ، القاهرة : الزهراء للإعلام العربي .

١١. محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، الطبعة الرابعة ، ١٩٩١م ، بيروت : المكتب

الإسلامي .

12 .K.H. Moenawar Chalil, *Sejarah Lengkap Sirah nabi Muhammad s.a.w*, cet. I, 1999 . Selangor : Dar al-Kitab .

13. Mahyuddin bin Haji Yahya, *Ensiklopedia Sejarah Islam*, 1986. Selangor : Penerbit Universiti Kebangsaan Malaysia.